

المحاضرة الرابعة عشرة

دراسات لهجية تطبيقية

١- اللهجات في كتاب معاني القرآن للفراء ت (٢٠٧هـ). احتوى كتاب معاني القرآن للفراء على عدد غير قليل من اللهجات العربية القديمة ؛ ونظرًا إلى أهمية هذا الكتاب وقدمه ومنزلة صاحبه في الدراسات اللغوية اخترتُ منه عدة لهجات متنوعة لتكون مثالًا تطبيقيًا على اهتمام العلماء السابقين باللهجات^(١) .

أ- إبدال الفاء من الثاء .

ذكر الفراء وهو يفسر قوله تعالى: "وفومها وعدسها وبصلها" أنه قرئ قوله تعالى "وفومها" بالفاء والثاء ، ثم أخذ يوجه القراءتين فقال: (وأما قوله: " وفومها وعدسها وبصلها " فإن الفوم^(٢) فيما ذكر لغة قديمة ، وهي الحنطة والخبز جميعًا قد ذُكرا. قال بعضهم : سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون: فَوُمُوا لنا -بالتشديد لا غير- يريدون اختبزوا .

وهي في قراءة عبدالله "وثومها" بالثاء فكأنه أشبه المعنيين بالصواب ؛ لأنه مع ما يشاكلة من العدس والبصل وشبّهه ، والعرب تُبدل الفاء بالثاء ، فيقولون : جَدَثٌ و جَدَفٌ ، ووقعوا في عاثور شر^(٣) و عافور شر ، والأثافي والأثافي ، وسمعت كثيرًا من بني أسد يُسمي المغافير^(٤) المغاثير).

(١) وقد أفرد بعض الباحثين اللهجات التي وردت فيه في كتاب مفرد .

(٢) قيل في تفسيرها إنها الثوم والفاء على هذا بدل من الثاء ، وقيل الفوم: الحنطة أو أنه الحبوب كلها أو الخبز أو الحمص ... إلخ .

(٣) أي في اختلاط من الأمر وشدة .

(٤) هو صمغ يسيل من شجر الرمث و العرفط وهو حلو يؤكل غير أنه رائحته ليست بطيبة .

وقد ذكر الفراء هذا الموضع مرة أخرى بقوله : (إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات ، كما يقال : جدف و جدث ، تعاقبت الفاء الثاء في كثير من الكلام كما قيل : الأثافي^(٥) والأثائي ، و ثوب فرقي^(٦) و ثرقبي ، ووقعوا في عاثور شر و عافور شر) ولكنه لم ينسب ذلك إلى أحد فيحمل ما لم ينسب على ما نسب ، ومع ذلك فقد ورد في بعض المصادر أن الفاء للحجازيين ، و الثاء لبني تميم ومن على شاكلتهم مما ورد في البحر وغيره من المصادر .

ب - فَعْلُ لأهل الحجاز ، و أفعل لتميم

ذكر الفراء في عدة مواضع فعل و أفعل منها ما ذكره عند تفسير قوله تعالى: ((كلما أضاء لهم مَشَوْا فيه)).

قال الفراء: (فيه لغتان ، يقال : أضاء^(٧) القمر ، و ضاء القمر ، فمن قال : ضاء القمر ، قال: يَضُوءُ ضوءًا ، و الضوء فيه لغتان ضم الضاد وفتحها) .
ولا بد من الإشارة إلى أن ابن أبي عجلة قرأ (كلما ضاء) .

ت - اللهجات في زكريا

ذكر الفراء عند تفسير قوله تعالى: ((و كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)) قائلاً: (وفي زكريا ثلاث لغات^(٨):
القصر في ألفه فلا يستبين فيها رفع ولا نصب ولا خفض ، وتمد ألفه فتتصب وترفع بلا نون

(٥) الحجر الذي توضع عليه القدر .

(٦) ثياب كتان بيض.

(٧) يقال : أضاء يُضيءُ إضاءةً .

لأنه لا يُجْرَى^(٩). وكثير من كلام العرب أن تحذف المدة والياء الساكنة فيقال : هذا زَكْرِي قد جاء ، فيُجْرَى ؛ لأنه يشبه المنسوب من أسماء العرب).

فالفراء في كلامه المذكور آنفاً ذكر ثلاث لهجات المد ، والقصر ، وحذف الألف ، ولم ينسب شيئاً منها. وذكر ذلك الجوهري أيضاً فقال: (زكريا فيه ثلاث لغات: المد والقصر وحذف الألف ، فإن مددت أو قصرت لم تصرف ، و إن حذفت الألف صرفت).

والممدود من لهجات الحجاز ، والمقصور من لهجات بني نمير و قيس و أسد و ربيعة ، و أما اللهجة الثالثة فهي مفرقة في البداوة.

ث - افْتَحَ : اقضِ في لهجة عُمان

ذكر ذلك الفراء وهو يفسر قوله تعالى: ((رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا)). فقال: (يريد اقضِ بيننا ، و أهل عُمان يسمون القاضي الفاتح و الفتّاح). فذكر الفراء في هذا النص أن لهجة عُمان تستعمل افْتَحَ بمعنى اقضِ ، وهذه اللهجة قد نزل بها القرآن الكريم ، جاء في تفسير الكشاف قوله: ((ربنا افتح بيننا)) أي: احكم بيننا ، والفتّاحة : الحُكُومة^(١٠).

٢ - نماذج من لهجة طييء

تُعَدُّ قبيلة طييء من القبائل العربية المشهورة التي أخذت عنها اللغة ، وقد قيل عنها: (إنَّ طيئاً لا تأخذ من لغة ، ويؤخذ من لغاتها).

(٨) قال في اللسان: (في زكرياً أربع لغات : زَكْرِيٌّ مثل عَرَبِيٍّ ، و زَكْرِيٍّ -بتخفيف الياء- ... و زَكْرِيّاً - مقصور- ، و زَكْرِيَّاء -ممدود-).

(٩) الإجراء في اصطلاح الكوفيين : الصرف ، وعدم الإجراء بمعنى: منع الصرف .

(١٠) يُنْظَرُ للمزيد من الأمثلة كتاب : اللهجات العربية في كتاب معاني القرآن للفراء للدكتور صبحي عبدالحميد

ممّا يدل على مكانة لهجة طيّء ، ولمكانة هذه القبيلة وعراقتها وفصاحتها اخترت هذه الأمثلة المتنوعة من لهجتها.

أ- الإبدال

يُعزى إلى طيّء إبدال النون في (إنسان) ياءً ، رُوي عن اللحيانيّ قوله: ((في لغة طيّء ما رأيتُ ثمَّ إيسانًا، قال: و يجمعونه (أياسين) ...)).

وقريب من هذا ما ذكره الفراء قائلًا: ((العرب جميعًا يقولون: الإنسان إلا طيّئًا، فإنهم يجعلون مكان النون ياء ، فيقولون: إيسان ، ويجمعونه أياسين)).

ب- يَمَات

تقول طيّئ عن مضارع مات: يمات ، و أما غيرهم فيقولون: يموت ، جاء في اللسان: ((مات يموت مؤنثًا ، و يَمَات ، الأخيرة طائية)).

وقد كان للعرب نهجان في ميم الفعل (مات) إذا أسند إلى ضمير متكلم أو مخاطب ، وهما:

١- كسر الميم ، نحو : مِتَ ، مِتْنَا.

٢- ضم الميم ، نحو : مُتَ ، مُتْنَا.

وقد مالت طيّء إلى الكسر ، نقل ابن دريد عن أبي زيد الأنصاري قوله : ((فمن قال : مِتْ ، قال: يَمَات ، و مَنْ قال: دِمْتُ ، قال: يَدَامُ ، و أكثر ما يتكلَّم به طيّء)). وقد عَزِي هذا النهج إلى الحجاز أيضًا. و عَزِي النهج الثاني -الضم- إلى سُفلى مضر إذ يقولون: مُتْم -بضم الميم- من مات يموت. و قد فُرئ قوله تعالى : "مِتْم" وقوله : "مِتْنَا" بكسر الميم وضمها.

ت- حَوَث

اختلفت القبائل العربية في نطق هذه الكلمة ، فكانت فيها اللهجات الآتية:

• **حيث:** وفي ثائها الحركات الثلاث -الضمة ، والكسرة ، والفتحة - وهي مبنية، و إعرابها لهجة أيضًا.

• **حوث:** وفي ثائها الحركات الثلاث أيضًا.

وقد عُرِيت الصيغة الواوِية (حوث) إلى طَيِّء ، جاء في المحكم: ((حوث: لغة في حيث ، إما لغة طَيِّء، و إما لغة تميم ، وقال اللحياني : هي لغة طَيِّء فقط ، يقولون حَوْتُ عَبْدُ اللَّهِ زَيْدًا)).

وعزاها السيوطي إلى طَيِّء وحدها فقال : ((...ولغة طَيِّء إبدال يائها واوًا، فيقولون : حوث)).

إذن للعرب في حركة ثائها مناهج هي :

- ١- البناء على الضم (حيثُ).
- ٢- البناء على الفتح (حيثَ).
- ٣- البناء على الكسر (حيثِ).
- ٤- الإعراب بالحركات الثلاث (حيث).
- ٥- البناء على الضم (حوثُ).
- ٦- البناء على الكسر والفتح (حوثَ).

فأخلاصة:

أ- تأتي (حيث) معربة بالحركات الثلاث دون تنوين.

ب- تأتي صيغتا (حيث) و (حوث) مبنيتين على إحدى الحركات الثلاث.

ث - اللذون

تستعمل العربية الفصحى (الذين) اسماً موصولاً لجميع الذكور العقلاء، ويأتي فيها مبنياً، أما طييء فإثها تجعله معرباً، قال أبو حيّان: ((وإعراب (الذين) مشهور في لغة طييء، قاله ابن مالك)). وقال السيوطي: ((...وإعرابه لغة طييء، وهذيل، وعُقيل، فيقال في الرفع: (الذون) بالواو)).

إذن: (الذين) في الفصحى مبني تلزمه الياء، ويلزمه الفتح رفعاً ونصباً وجراً، وبذلك نزل القرآن، قال تعالى: ((الذين هم في صلاتهم خاشعون)). في حين بعض القبائل تستعمل هذا الاسم معرباً إعراب جمع المذكر السالم، يرفع بالواو ويُنصب ويُجر بالياء، فتقول: اللذون رفعاً، والذين نصباً وجراً.

ج - التّبييت

قال الطّبري: ((وقد حُكي عن بعض الطائيين أنّ (التّبييت) في لغتهم التبديل)).

والمشهور في كتب اللغة إطلاق لفظة التّبييت بمعنى تدبير الأمر وقضائه ليلاً.

ولعلّ دلالة اللغة المشتركة هي الأصل لشهرتها، وإذا صحّ هذا كانت الدلالة الطائنية تخصيصاً للعامة؛ لأنّ في التّبييت تبديلاً من حال إلى حال.

ح - الرّمخ

قال أبو العباس ثعلب: ((الذي يَسْقُطُ من البُسْر قبل أن يُدْرِكَ: السَّرَاءُ الواحدة سَرَاءَةٌ، وهو الجَدَالُ^(١١) الواحدة جدالة، وهو السَّدَاء-ممدود- بلغة أهل اليمامة، وهو السَّدَى بلغة أهل المدينة، وهو السِّيَاب الواحدة سَيَابة بلغة أهل وادي القُرى، وهي الرُّمَخ^(١٢) بلغة طييء الواحدة رُمَخَة، وهو الخَلال بلغة أهل البصرة وأهل البحرين)). مجالس ثعلب (٤٨٣/٢)

ففي هذا النص سبعة ألفاظ مترادفة تدل على ما يسقط من ثمر النّخيل قبل أن ينضج، وهي: الجدال، والخلال، والرّمخ، والسدى، والسداء، والسراء، والسّياب^(١٣).

(١١) يُعَزَى إلى أهل نجد.

(١٢) الرّمخ شائعة في عامية بعض مناطق العراق بالمعنى نفسه، ومنها منطقة الرّحاليّة التابعة لقضاء الرّمادي.

(١٣) يُنظَر للمزيد من الأمثلة كتاب: لغة طييء وأثرها في العربية: دراسة تاريخية وصفية تفسيرية، للدكتور عبد الفتاح محمد.